



عبد الله كنّون: العالم المحقّق

نجاة المريني
كلية الآداب ـ الرّباط

الحديث عن الفقيد العلاّمة عبد الله كنّون متشعّب المسالك، متعدّد الأشكال. فقد خاض غمار كلّ مسلك صعب من ميادين العلم والدرس، ألف وحبّر في موضوعات شتّى قد لاتجمع بينها صلة أو علاقة، هدفه خدمة تاريخ وطنه المغرب في مجالات المعرفة بكلّ صنوفها وألوانها، وكتاباته ومؤلفاته أكثر من أن تُحصى في ميدان الأدب والتّاريخ والنّقد والتحقيق.

أمّا اهتماماته بالإسلاميات، فقد شكّلت لونًا متميزاً في مؤلفاته، من حيث التناول والنقاش. وهو يعدّ ـ بالإضافة إلى كلّ هذا ـ واحدا من أبرز الشعراء المغاربة الأوائل الذين ناضلوا بشعرهم في الدفاع عن الوطن منذ فترات بعيدة.

من بين الموضوعات التي شغلت حيّزاً من اهتمامات الأستاذ كنّون في ميدان الدراسات الأدبيّة والتّاريخية المغربيّة، التّراث المغربي باعتباره منفذا مشعًا للفكر والأدب المغربيين.

يرى العلاّمة عبد الله كنّون أنّ إحياء التراث المغربي من المهمّات الصعبة التي يجب أن يقوم بها الباحث المغربي. فتاريخ المغرب كما يقول: «يشكو مرّ الشكاية من الضيّاع»(1).

لذا كانت عنايته كبيرة ـ عند العثور على كتاب مخطوط في الأدب أو التاريخ ـ بتحقيقه ونشره وتقديمه للقرّاء تعميمًا للفائدة وتعريفا بالتّراث المغربي على أوسع نطاق. فهو كما قال عنه ألفريد البستاني: «يعمل حبًا بالعمل. يجاهد في سبيل الأدب لأجل الأدب. تراه في مختبره الأدبي، وإن شئت قل في منسكه، مكبًا على الدرس والبحث والتّنقيب والتحقيق. بين تحبير وتحرير وتصنيف»(2) .

شكّلت مجالات الدّراسة والتحقيق عند الأستاذ كنّون منحيين رئيسيين:

المنحى الأول: ويشمل الشروح والتعليقات.من ذلك شرحه لمقصورة المكودي، وشرح الشّمقمقيّة لابن الونان. وكتاب الأربعين حديثا الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة لعبد اللّطيف البغدادي. وهي أعمال يُعنى فيها الأستاذ كنّون بتقديم صاحب النص الشّعري أو النّثري متقصيًا أخباره، متناولا العمل بكثير من الضّبط والشّرح والتّعليق. وبالإضافة إن اقتضى الحال ذلك.

---

(1) مقدمة تحقيق كتاب مناهل الصفا، ص 7
(2) توطئة كتبها ألفريد البستاني في تقديم تحقيق ديوان يوسف الثالث ملك غرناطة، ص 5.

المنحى الثاني: ويعنى فيه الأستاذ كنّون بتحقيق المتون وتقديمها. وتتميز أعماله في هذا المجال بالدقة والعمق، إذ في هذا التراث يتحقق وجود المغرب الحضاري والفكري عبر التّاريخ، ويبرز تفوّق المغاربة في ميادين الأدب والتاريخ والرحالة وغير ذلك، إضافة إلى أنّ مثل هذه الأعمال في فترات صدورها كان دفاعًا عن كيان أمة وحضارة شعب، ومواجهة للمستعمر الأجنبي الذي كان يُنكر وجود المغرب الحضاري والفكري على امتداد القرون، خاصة منذ الفتح الإسلامي.

ولقد تناولت أعمال الأستاذ كنّون في مجال تحقيق التراث المغربي المتون الشعرية، والمتون النثرية الأدبية والتاريخية، وكذلك متنًا في الأنساب.

المتون الشعرية:

1 - المنتخب من شعر ابن زاكور:

وهو أول متن شعري اهتمّ به العلامة كنّون، وعمل على تقديمه تعريفا بالشاعر، واستثارة للقارئ المغربي ثم العربي للبحث في خبايا الأدب المغربي المنسيّ،

وقد صدر هذا المنتخب في طبعة أولى سنة 1941. ضمن منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو للأبحاث العربيّة الإسبانية.

يشير الأستاذ كنّون في مقدمة المنتخب إلى أنّ «ابن زاكور جمع شعره كلّه في ديوان سمّاه: الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض، ورتّبه على حروف المعجم في الأول، ثم صار يُلحق به ماجدّ له من النظم على غير ترتيب» (3). وإذا كان عمل الأستاذ كنّون في تحقيق هذا المتن قد اقتصر على اختيار منتخبات شعرية من الديوان دون أن يشمل كل الديوان، فلعل ذلك راجع إلى تقديم إضاءات وافية عن الديوان وصاحبه من خلال المنتخبات.

ولايخفى أنّ اختيار نصوص شعرية من ديوان ليس بالعمل السهل الميسّر، بل قد يُوقع صاحبه في مطبّات كان بالإمكان أن يكون في غنى عنها، فحسن الاختيار يدل على ملكة نقديّة، وعلى ذوق فنيّ رفيع، وعلى براعة في التنسيق بين المنتخبات المختارة، ولعل عملية الاختيار هي إعادة تركيب جديدة لمتن شعري يجمع بين الغث والسمين والجيد والرديء. وكما يقول ألفريد البستاني في تقديمه لهذا المنتخب: «لايخفي أن منتخب الشعر ومنتقيه لايقلُّ براعةً وذوقًا وشعوراً عن قائله، هذا إذا أحسن المنتخب الاختيار، وروّض مخيّلته بإتباع مخيّلة المصّور، ورقّق شعوره بالإحساس بشعور الشاعر، فكشف عن أسرار الجمال الفني، فأثبتها، كما شعر بمظان العقم ومواطن الضعف فتجنبّها»(4).

إنّ حرص الأستاذ كنّون على إظهار جمالية شعر ابن زاكور دفعه إلى عمل هذا المنتخب، يقول: «... جاءت دواوين كثير من أدبائنا مشحونة بالغثّ والسمين، ولم يمكن الفرق بين الرخيص

---

(3) مقدمة المنتخب ص 19، وقد قام الأستاذ الصغير بتحقيق الديوان كرسالة جامعية نوقشت في أفريل 1989.

(4) ن.م، ص 6.

منها والثمين، وبسبب ذلك، قد عملنا هذا المنتخب من شعر ابن زاكور»(5).

أمّا عن طريقته في اختيار أشعار هذا المنتخب وترتيبه فيقول عنها: «ونحن بعد أن تخيّرنا من شعره كلّ مافيه روح، وعليه مسحة من الجمال، وأسقطنا سفسافه ورديثه، ارتئينا أن نرتّبه على الأغراض التي نظم فيها وهي المديح، والربيعيات، والزهريات والغزل والرثاء والنصائح»(6).

ويظهر أن الجهد الذي بذله صاحب المنتخب كان مضنيًا، تقصّى فيه أشعار الديوان بدقة، واختار بذوق ورهافة حسّ ماكان يراه شعراً متدفقًا سلسًا جميلا، سالكًا نهج القدامى في تخيّر أشعارهم إذ «ينتخبون من أشعارهم كلّ نفيس وغالٍ قصد ترغيب الناس فيها وإمدادهم بما يستحق أن يُروى منها موفّرين عليهم تعب البَحث والتنقيب»(7).

ويشير الأستاذ كنّون في خاتمة تقديمه للمنتخب إلى قيمة هذا العمل ومكانته من بين الأعمال الأخرى بقوله: « ونعتقد أنه حتى بعد نشر ديوان ابن زاكور بأكمله، سيبقى هذا المنتخب محتفظا بمكانة لدى الأدباء»، معتبراً أنه الديوان الحقيقي لابن زاكور»(8).

2 ـ تحقيق ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث:

وهو عمل جليل يفيد المؤرخ والناقد والأديب، لذا فالعثور على ديوان ملك متأخر هو يوسف الثالث يُعدُّ إضافة جديدة إلى تاريخ الأندلس وتاريخ الشعر العربي في تلك الفترة الغامضة، أمّا الأديب فسيجد متعة ولذة في قراءة الديوان الذي تنوعت موضوعاته ورقّت أساليبه، وسيفيد القارئ في الاطلاع على حياة أمير انصرف إلى الدراسة وقول الشعر أكثر من انصرافه إلى السياسة والحكم، كما سيفيدُ القارئ في تتبّع الأغراض الشعرية التي حفل بها الديوان وخاصة الغزل والوصف.

أما الدراس الناقد، فسيجد في هذا الديوان مادة غنيّة لدراساته النقدية للشعر الأندلسي من حيث لغته وأسلوبه وفنّه.

أمّا الديوان من حيث هو مخطوط فيعتبر «تحفة نادرة، بل ذخيرة ثمينة عثر عليها بناحية سوس صديقنا العلامة الجليل السيد محمد المختار السوسي، عند الفقيه العالم السيد عبد الله الكدماني، وأهداها لنا بمناسبة زيارتنا لمراكش في ربيع سنة 1369 هجري، رجاء القيام بنشرها وتقديمها إلى العالم العربي طرفة أدبية يعزّ لها الكفاء، لأنها على مايظنّ صديقنا لاثاني لها في العالم»(9).

---

(5) ن. م، ص 16.
(6) ن. م، ص20.
(7) ن. م، ص 20.
(8) ن. م، ص 20.
(9) مقدّمة ديوان يوسف الثالث ص ظ.

وقد تناول المحقق الديوان بالوصف الدقيق من حيث عدد ورقاته وجمال خطه، وخطبته المبتورة. ومن حيث المحتوى أشار الأستاذ كنّون إلى تفوّق الشاعر في بعض الأغراض الشعرية دون غيرها كالغزل والوصف «ولا سيّما لقصور غرناطة والحمراء ومناظرها الجميلة وضواحيها النضرة، من السبيكة والمرج وماإليهما» (10).

أمّا القصائد الفخرية التي قالها الشاعر في وصف المعارك الحربية والمنازعات السياسية «فتلوح على كلامه شارة الملك ونخوة الرئاسة» (11).

وبالرغم من كون الأستاذ كنّون اعتمد على نسخة فريدة في تحقيق الديوان. فقد كانت دقّته كبيرة في الإشارة إلى الأخطاء التي وقع في الشاعر منبّها إليها في الهامش، وقام بتفسير الغامض من الكلمات، وللأمانة العلميةترك فراغا لكلّ بياض بالأصل.

أمّا الفهارس فمتعدّدة:

- فهرس المحتويات
- فهرس القبائل والأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس التواريخ المذكورة في الديوان
- فهرس الكتب المذكورة في الديوان
- فهرس لما في الديوان من أبيات ليست لصاحبه.

هذا، وقد صدر الديوان في طبعته الأولى سنة 1958م ضمن منشورات معهد مولاي الحسن بتطوان، وفي طبعته الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1965 بالقاهرة.

المتون النّثرية:

1 - رسائل نقدية:

وهي مجموع يضمُّ اثنتين وستين رسالة صدرت عن السلطان أحمد المنصور السعدي في فترات مختلفة، أهداه العلامة محمد المختار السوسي لصديقه عبد الله كنّون أثناء زيارته لمراكش في ربيع 1369 هجرية.ويشير الأستاذ كنّون في تقديمه لهذه الرسائل بأنّها «من إنشاء الكاتبين عبد العزيز الفشتالي ونسيبه محمد بن علي» (12).

وعن فائدة هذه الرسائل يقول المحقق : «ولا تخفى فائدة هذه الرسائل للأديب والمؤرخ معا، فالأول يجد فيها من النصوص الجميلة ما يُعينه على تتبّع حياة اللغة والإنشاء في هذا العصر، ويقف على آثار لأدباء لم تكن معروفة من قبل، فتتكون له بذلك فكرة عنهم، والثّاني يجد فيها تفصيلا لوقائع حربيّة، وحديثا عن علاقات دبلوماسيّة، وحوادث وماجريات أخرى لها

---

(10) ن. م، ص م.
(11) ن. م، ص غ.
(12) مقدّمة رسائل سعديّة ص 11.

كثير من الأهميّة بالنّسبة إلى البحث التاريخي المجرد » (13).

وقد صدرت هذه الرسائل في طبعتها الأولى سنة 1954 ضمن منشورات معهد مولاي الحسن بتطوان.

2 ـ مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا لعبد العزيز الفشتالي :

وهو كتاب تاريخي هام حرص الأستاذ كنون على تحقيقه وتقديمه، بعد أن عثر عليه في «تركة أحد الطلبة بفاس» (14)، وهو بهذ التحقيق أفاد المكتبة الأدبيّة والتاريخيّة المغربيّة، إذ نفض الغبار عن تاريخ المغرب في فترة مزدهرة في ميادين كثيرة.

والكتاب المحقق كما يؤكد الاستاذ كنون هو مختصر الجزء الثاني من كتاب مناهل الصفا الذي يقع في مجلّدات، والذي نجا من الضياع والتلف، أمّا الأجزاء الأخرى فهي في حكم المفقودة.

انصبّ العمل على تقديم المتن التاريخي بتصويب الأخطاء، وذلك بالمقارنة مع نسخة أخرى من الكتاب توجد في تونس، مع التنبيه إلى ذلك في الهامش، يقول الأستاذ كنون : «كان عملنا في تحقيق هذا الكتاب أننا حرصنا على أن نقدّم منه نصّا صحيحا أقرب ما يكون إلى الأصل الذي كتبه المؤلف، ولم نحاول قطّ أن يكون التحقيق شرحا لهذا المختصر وتعليقا يزيد على غرض التحقيق» (15).

وفائدة المختصر تصبُّ في الأدب والتاريخ، ففيه تفاصيل دقيقة عن الأحداث السياسية والمعارك الحربيّة التي عرفها المغرب في عصر المنصور السعدي، وفيه الأدبيات والأشعار التي سجّلها المؤلّف في سياق مرويّاته وأحاديثه.

أمّا المجموعة الشعريّة التي جعلها المحقّق ذيلاً لكتاب مناهل الصفا، فهي تضمُّ تسع عشرة قصيدة لشعراء العصر السعدي تتوزّع بين مدح السلطان ومدح الرّسول عليه السّلام ووصف قصر البديع، بالإضافة الى القصائد الشعريّة المتضمّنة في المتن التاريخيّ.

وقد ارتكز عمل الأستاذ كنون الدّقيق على ضبط المتن وتصحيحه بالرّجوع إلى المظان التاريخيّة والمصادر المتنوّعة، وبتصحيح الأشعار «بحسب ما يحتمله اللّفظ والمعنى وصناعة الشّعر على العموم» (16).

وجعل المحقّق لهذا المتن فهارس خمسة :

- فهرس الموضوعات

- فهرس الأعلام الواردة في المتن.

---

(13) ن. م، ص 11.
(14) مقدمة مناهل الصفا ص 8
(15) ن. م، ص 13
(16) ن. م، ص 15

- فهرس الأسماء والأماكن.
- فهرس الأشعار.
- فهرس لأسماء الكتب.

وقد كان صدور هذا المتن سنة 1964 عن المطبعة المهدية بتطوان ضمن منشورات كليّة الآدابالرباط.

- عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب : وهو تحقيق طريف في الأنساب، وضعه محمد بن موسى الحازمي الهمذاني المتوفى سنة 584 هـ ببغداد، أحد الحفاظ الزهاد، نعته ابن العماد في شذارات الذهب بقوله : «كان فقيها حافظا زاهداً ورعًا متقشفًا حافظا للمتون والأسانيد، غلب عليه علم الحديث وصنّف فيه تصانيفه المشهورة منها : النّاسخ والمنسوخ في الحديث، وكتاب المشتبه» (17) .

موضوع الكتاب كما يشير المحقق إلى ذلك «أصول الأنساب العربية وتفرّعاتها... ويعتبر بمثابة المعجم الصغير أو المفتاح لمعرفة أنساب المشاهير من الرجال مع ضبطها وتحديدها»(18).

اعتمد المحقق في ضبط الكتاب وتصحيحه على ثلاث نسخ تفاوتت ضبطا ودقة وإتقانًا، وكما يقول المحقق فهو «لم يعتمد في طبع العجالة أية نسخة من هذه النسخ الثلاث، وإنما أخذ بعين الاعتبار الجمع بين هذه النسخ ما أمكن»(19).

كما أن تحقيق الأنساب عمل صعب « فإذا لم تضبط ضبطا صحيحا، فكأنّ الانسان لم يعمل شيئا في تحقيقها وضبطها » (20)

أمّا الفهارس، فتشتمل على:
- فهرس لمصادر التحقيق
- فهرس الأنساب مرتبة باعتبار الحرف الأول.
- فهرس القبائل والأماكن المنسوب إليها.
- فهرس الأعلام المذكورة في كل نسب.

وقد قام بطبع الكتاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1965.

* * *

يتميز عمل الأستاذ العلامة عبد الله كنّون في عنايته بالتراث الأدبي والتاريخي المغربي، وعمله من أجل نشره والتعريف به، بالدّقة والضبط : من حيث توثيق النص نسبةً

(17) مقدّمة عجالة المبتدي ص ط
(18) ن. م، ص أ.
(19) ن. م ص هـ.
(20) ن. م ص و.

ومادة، ومن حيث توضيحه وضبطه، ومن حيث التعليق عليه في الهوامش، مؤكداً استعانته بالمصادر والمخطوطات ذات الصلة بالمتن موضوع التحقيق، كما أنّ هناك خاصية أخرى في تحقيق الأستاذ كنّون هو حرصه على تقديم النص كما وجده مخطوطا دون تصرّف بتقديم أو تأخير حتّى لا يُخلّ بأمانة التحقيق، وحتى لا يُخلّ بتقديم العمل كما وجده في الأصل المخطوط.

ويظهر جهد المحقق في المقدمة التي تتصدّر المتن، ففيها يتحدث عن عمله وعن منهجه في تقديم النص، معرفا بصاحبه، وبظروف تأليفه للنص.

وتبدو أهمية تحقيق المتن في الهوامش والطّرر التي تُفسّر الغامض، وتكشف عن قدرات المحقق في تقديم النّص تقديما علمياً جيّداً بالإحالة على المصادر والمراجع، وبالتّنبيه إلى الفروق بين النسخ المعتمد عليها في التحقيق إن كانت متعدّدة، أو بترجيح الرواية الأقرب إلى الصواب إن كانت النسخة يتيمة.

أمّا الفهارس، فهي تلخّص العمل الجليل الذي كان يقوم به الأستاذ كنّون في صبر وأناة، خاصة مايتعلق بفهارس الأعلام والأماكن، فهي تُسهّل على القارئ والباحث مشقة البحث عن علم معيّن أو مكان معيّن، فينصرف إلى الموضوع دون كبير عناء.

والأستاذ كنّون واحد من ألمع المؤرخين والمحققين للتراث المغربي، فهو كما يقول عنه الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين : «إذا كان العلماء والباحثون على امتداد الوطن العربي يعرفون بسبب من تقصّيهم للمذاهب السياسية والدينية المتصارعة، فإنّ للعلامة عبد الله كنّون قسطًا ظاهراً في إحياء التراث العربي الإسلامي، من تحقيق المخطوطات الشعرية على منهج علمي أصيل وتقويم صيغ الشعر القديمة والحديثة، وتحديد ملامح الشعراء ومنازلهم، إلى جانب رصد حركات الإصلاح والتجديد والثقافة هنا وهناك، تعليلا وتحليلا»(21) ./.



(21) عبد الله كنّون شاعراً، مجلة المناهل، العدد 6، ص 418.